

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس ٥ : التابعي عامر بن شرحبيل الشعبي .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-١٩٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

فضيلة الشيخ الحسن البصري له كلام جميل في حق التابعي عامر بن شرحبيل الشعبي

((كان الشعبي واسع العلم، عظيم الحلم، وإنه مع الإسلام بمكان))

إذاً حديثاً في هذه الحلقة إن شاء الله حول هذا التابعي الجليل .

ولد الشعبي في الكوفة، وفيها نشأ، لكن المدينة المنورة كانت مهوى فؤاده ومطمئنه، فكان يؤمها من حين لآخر ليلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليأخذ عنهم كما كان الصحابة الكرام يؤمون الكوفة ليتخذوها منطلقاً للجهاد في سبيل الله، أو داراً للإقامة، فأتيح له أن يلقى نحواً من خمسين من الصحابة الكرام، وأن يؤوي عن عدد كبير من جلتهم من أمثال علي بن أبي طالب و سعد بن أبي وقاص و زيد بن ثابت و عبادة بن الصامت، و أبي موسى الأشعري، و أبي سعيد الخدري و النعمان بن بشير، و عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس و عدي بن حاتم و أبي هريرة و عائشة أم المؤمنين و غيرهم، وقد كان الشعبي فتى متقد الذكاء يقط الفواد، مرحف الذهن، دقيق الفهم، آية في قوة الحافظة والذاكرة، قال علماء النفس: كل ذكي له ذكرة قوية، وكل صاحب ذكرة قوية على مستوى عالٍ من الذكاء، و لكن الذكاء شيء و الذاكرة شيء آخر، فقد روي عنه أنه قال

((ما كتبت سوداء في بيضاء فقط " كان يحفظ مباشرة، لا يحتاج إلى أن يكتب ،

((ما كتب سوداء في بيضاء فقط، و لا حدثي رجل بحدث إلا حفظه، و لا سمعت من أمرئ

كلاماً فما أحببت أن يعيده علي))

وهذا من علام قوة ذكرته.

وقد كان الفتى مولعاً بالعلم مشغولاً بالمعرفة، يبذل في سبيلها النفس والنفيس، ويستهل من أجلهما المصاعب، إذاً كان يقول : لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن وحفظ كلمة واحدة تنفعه فيما سنقبل من أمره لرأيت أن سفره لم يضيع " وللإمام الشافعي كلمة رائعة يقول

((من لم يعهد منه سفر، لم يعهد منه علم))

وقد بلغ من علمه أنه كان يقول : أقل شيء تعلمه الشعر، ولو شئت لأنشدكم منه شهراً دون أن أعيد شيئاً مما أنسدته، وكانت تُعقد له حلقة في جامع الكوفة، فيلتف الناس حوله زمراً، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياه يروحون ويغدون بين أظهر الناس.

أستاذ جمال يقول الله عز وجل :

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة فاطر]

الله جل جلاله يعطي بعض الأشخاص قوة حافظة عجيبة، يعطي بعض الأشخاص قوة محاكمة كبيرة، يعطي بعض الأشخاص طلاقة لسان رائعة، إنه عز وجل يصطفى من خلقه من يعطيهم حظاً أكثر من غيرهم، هذا معنى قوله تعالى :

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة فاطر]

بل إن عبد الله بن عمر رضي الله عنه سمعه ذات مرة يقص على الناس أخبار المغاري بخفاياها و دقائقها، فأرهف إليه سمعه و قال: لقد شاهدت ما يقصه بعيوني و سمعته بأذني، ومع ذلك فهو أروى له مني " هو الذي شاهده و سمعه أروى له مني، و شواهد سعة علم الشعبي و حضور ذهنه غزيرة وفيرة، من ذلك ما رواه عن نفسه قال : أتاني رجلان يتفاخران أحدهما منبني عامر و الآخر منبني أسد، و قد غالب العامري صاحبه و علا عليه و أخذه من ثوبه و جعل بجره نحوه جرا، والأ Rossi مخدول أمامه يقول له : دعني دعني، وهو يقول له : والله لا أدعك حتى يحكم الشعبي لي عليك، فالتفت إلى العامري و قلت له : دع صاحبك حتى أحكم بينكم، ثم نظرت إلى الأ Rossi و قلت : ما لي أراك تتخاذل له، ولقد كانت لكم مفاخر ست لم تكن لأحد من العرب، أولها : أنه كانت منكم امرأة خطبها سيد الخلق محمد بن عبد الله، فزوجه الله إياها من فوق سبع سماوات، و كان السفير بينهما جبريل عليه السلام، إنها أم المؤمنين زينب، فكانت هذه المأثرة لقومك ولم تكن لأحد من العرب غيركم، و الثانية : أنه كان منكم رجل من أهل الجنة، يمشي على الأرض هو عكاشه بن محسن، و كانت هذه لكم يا بني أسد و لم تكن لسوакم منن الناس، و الثالثة : أن أول لواء عقد في الإسلام كان لرجل منكم، هو عبد الله بن جحش، و الرابعة أن أول مغنم قسم في الإسلام كان مغنمه، و الخامسة : أن أول بائع بيعة الرضوان كان منكم، فقد جاء صاحبكم أبو سنان بن وهب إلى النبي عليه الصلاة و السلام و قال : يا رسول الله أبسط يدك أبأيعك، قال : على ماذا، قال : على ما نفسك، قال : وما في نفسي ؟ قال : فتح أو شهادة، قال : نعم، فبأيعه فجعل الناس يبايعون على بيعة أبي سنان، و السادسة : أن قومك بني الأسد كانوا سبع المهاجرين يوم بدر، فبُهت العامري و سكت، ولا ريب أن الشعبي أراد أن ينصر الضعيف المغلوب على القوي الغالب، ولو كان العامري هو المخدول لذكر له من مآثر قومه ما لم يحط به خبرا، و لما آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان كتب إلى الحاج عامله على العراق أن ابعث إلى رجالاً يصلح للدين و الدنيا، أَنْتَهُ سفيراً و جليساً، فبعث إليه بالشعبي، فجعله من خاصته، و أخذ يفرز إلى علمه في المعضلات، و يعول على رأيه في الملمات، و يبعثه سفيراً

بينه وبين الملوك، أرسله مرة في مهمة إلى الجستبيان، ملك الروم، فلما وفد إليه واستمع إليه أخذ بذكائه ودهش من دهاءه، وأعجب بسرعة اطلاعه وقوة عارضته، فاستبقاء عنده أياماً كثيرة على غير عادته مع السفراء، فلما ألح عليه بأن يأذن له بالعودة إلى دمشق سأله الملك الرومي : أمن أهل بيت الملك أنت ؟ فقال : لا، وإنما أنا رجل من جملة المسلمين، فلما أذن له بالرحيل قال له : إذا رجعت إلى صاحبك، يعني عبد الملك بن مروان، وأبلغته جميع ما يزيد معرفته فادفع إليه هذه الرقعة، يعني الكتاب، فلما عاد الشعبي إلى دمشق بادر إلى لقاء عبد الملك، وأفضى إليه بكل ما رأه وسمعه، وأجباه عن جميع ما سأله عنه، ولما نهض لينصرف قال : يا أمير المؤمنين إن ملك الروم حملني لك هذه الرقعة، ودفعها إليك وانصرف، فلما قرأها عبد الملك قال لغلمانه : ردوه عليّ، فردوه فقال له : أعلمت ما في هذه الرقعة ؟ قال : لا الله يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك : لقد كتب إليك ملك الروم يقول : عجبت للعرب كيف ملكت عليها مكحول في الشام " لكن الشعبي كان لتواضعه يخجل إذا خلع عليه أحد لقب العالم، فقد خاطبه أحد قائلًا : أجبني أيها الفقيه العالم، فقال : ويحك لا تطربونا بما ليس فينا، الفقيه من تورع عن محارم الله، و العالم من خشي الله، وأين نحن من هذا " وقد سأله آخر عن مسألة فأجاب : قال فيها عمر بن الخطاب كذا، وقال فيها علي بن أبي طالب كذا، فقال له السائل : وانت ماذا تقول يا أبي عمر، فابتسم في استحياء وقال : و ما تصنع بقولي بعد أن سمعت مقالة عمر و علي " وقد كان الشعبي يتحلى بكريم الشمائل ولين الخصم، من ذلك أنه كان يكره المرأة، و يتسلام عن الخوض فيما لا يعنيه، فقد كلامه أحد أصحابه ذات يوم فقال : يا أبي عمرو، فقال : ليك، فقال : ما تقول فيما يتكلّم فيه الناس في أمر هذين الرجلين، فقال : أي الرجالين تعني ؟ فقال : عثمان و علي، فقال : إني والله لفي غنى أن أجيء يوم القيمة خصيماً لعثمان بن عفان أو لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما

لقد جمع الشعبي إلى العلم الحلم، فقد رُوي أن رجلاً شتمه أقبح الشتم، و أسمعه أقذع الكلام فلم يزد على أن قال : إن كنت صادقاً فيما ترمي به غفر الله لي، وإن كنت كاذباً غفر الله لك " ولم يكن الشعبي على جلة قدره وجلالة فضله يأنف أن يأخذ المعرفة أو يتلقى الحكمة عن أهون الناس شأنها، فقد دأب أعربي على حضور مجالسه، غير أنه كان يلوذ بالصمت دائمًا، فقال له الشعبي : ألا تتكلم ؟ فقال : اسكت فأسلم، و اسمع فأعلم، وإن حظ المرأة من أذنه يعود عليه، أما حظه من لسانه فيعود على غيره " فظل الشعبي يردد كلمة الأعرابي ما امتدت به الحياة. أهلاً و مرحاً بفضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي، أيها الإخوة الأعزاء باسمكم نشكر فضيلة الشيخ، أهلاً بكم أستاذ راتب، وإن شاء الله لنا لقاء آخر، والسلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته، و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته.

والحمد لله رب العالمين